

تفسير البغوي

وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ

قوله تعالى : (وأتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها) الآية . اختلفوا فيه ، قال ابن

عباس : هو بلعم بن باعوراء . وقال مجاهد : بلعام بن باعر . وقال عطية عن ابن عباس :

كان من بني إسرائيل . وروي عن علي بن أبي طلحة رضي الله عنه أنه كان من

الكنعانيين من مدينة الجبارين وقال مقاتل : هو من مدينة بلقا . وكانت قصته - على ما

ذكره ابن عباس وابن إسحاق والسدي وغيرهم - أن موسى لما قصد حرب الجبارين ونزل

أرض بني كنعان من أرض الشام أتى قوم بلعم إلى بلعم - وكان عنده اسم الله الأعظم -

فقالوا : إن موسى رجل حديد ومعه جند كثير ، وإنه جاء يخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويحلها

بني إسرائيل ، وأنت رجل مجاب الدعوة ، فاخرج فادع الله أن يردهم عنا ، فقال :

ويلكم نبي الله ومعه الملائكة والمؤمنون كيف أدعو عليهم وأنا أعلم من الله ما أعلم ،

وإني إن فعلت هذا ذهبت دنيائي وآخرتي ، فراجعوه وألحوا عليه فقال : حتى أوامر ربي ،

وكان لا يدعو حتى ينظر ما يؤمر به في المنام فآمر في الدعاء عليهم ، فقتل له في المنام

: لا تدع عليهم ، فقال لقومه : إني قد أمرت ربي وإني قد نهيت فأهدوا إليه هدية فقبلها ،
ثم راجعوه فقال : حتى أوامر ، فأمر ، فلم يوح إليه شيء ، فقال : قد أمرت فلم يجزإلي
شيء ، فقالوا : لو كره ربك أن تدعو عليهم لنهاك كما نهاك في المرة الأولى ، فلم يزالوا
يتضرعون إليه حتى فتنوه فافتتن فركب أتاناً له متوجهاً إلى جبل يطلعه على عسكر بني
إسرائيل يقال له حسيبان ، فلما سار عليها غير كثير ربضت به ، فنزل عنها فضربها حتى إذا
أذلقتها قامت فركبها ، فلم تسر به كثيراً حتى ربضت ، ففعل بها مثل ذلك فقامت ،
فركبها فلم تسر به كثيراً حتى ربضت ، فضربها حتى أذلقتها ، أذن الله لها بالكلام
فكلمته حجة عليه ، فقالت : ويحك يا بلعم أين تذهب بي؟ ألا ترى الملائكة أمامي تردني
عن وجهي هذا؟ أتذهب بي إلى نبي الله والمؤمنين تدعو عليهم؟ فلم ينزع ، فخلى الله
سبيلها فانطلقت حتى إذا أشرفت به على جبل حسيبان جعل يدعو عليهم ولا يدعو عليهم
بشيء إلا صرف الله به لسانه إلى قومه ، ولا يدعو لقومه بخير إلا صرف الله به لسانه إلى
بني إسرائيل . فقال له قومه : يا بلعم أتدري ماذا تصنع إنما تدعو لهم علينا؟! فقال : هذا ما
لا أملكه ، هذا شيء قد غلب الله عليه ، فاندلع لسانه فوقع على صدره ، فقال لهم : قد

ذهبت الآن مني الدنيا والآخرة فلم يبق إلا المكر والحيلة ، فسأمر لكم وأحتال ، جملوا النساء وزينوهن وأعطوهن السلع ، ثم أرسلوهن إلى العسكر يبعنها فيه ، ومروهن فلا تمنع امرأة نفسها من رجل أرادها ، فإنهم إن زنا رجل واحد منهم كفيتموهم ، ففعلوا فلما دخل النساء العسكر مرت امرأة من الكنعانيين ، اسمها كستى بنت صور ، برجل من عظماء بني إسرائيل يقال له زمري بن شلوم رأس سبط شمعون بن يعقوب ، فقام إليها فأخذ بيدها حين أعجبه جمالها ثم أقبل بها حتى وقف بها على موسى ، فقال : إني أظنك ستقول هذه حرام عليك؟ قال : أجل هي حرام عليك لا تقربها ، قال : فوالله لا أطيعك في هذا ، ثم دخل بها قوته فوقع عليها فأرسل الله الطاعون على بني إسرائيل في الوقت ، وكان فتاح بن العيزار بن هارون صاحب أمر موسى ، وكان رجلا قد أعطي بسطة في الخلق وقوة في البطش ، وكان غائبا حين صنع زمري بن شلوم ما صنع ، فجاء والطاعون يجوس بني إسرائيل ، فأخبر الخبر ، فأخذ حربته وكانت من حديد كلها ، ثم دخل عليهما القبة ، وهما متضاجعان فانتظمهما بحربته ، ثم خرج بهما رافعهما إلى السماء ، والحربة قد أخذها بذراعه واعتمد بمرفقه على خاصرته ، وأسند الحربة إلى لحيته وكان

بكر العيزار ، وجعل يقول : اللهم هكذا نفعل بمن يعصيك ، ورفع الطاعون ، فحسب من هلك من بني إسرائيل في الطاعون فيما بين أن أصاب زمري المرأة إلى أن قتله فنحاص ، فوجدوا قد هلك منهم سبعون ألفا في ساعة من النهار ، فمن هنالك يعطي بنو إسرائيل ولد فنحاص من كل ذبيحة ذبحوها القبة والذراع واللحي ، لاعتماده بالحربة على خاصرته ، وأخذه إياها بذراعه ، وإسناده إياها إلى لحيته ، والبكر من كل أموالهم وأنفسهم ، لأنه كان بكر العيزار وفي بلعم أنزل الله تعالى : " واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا " الآية . وقال مقاتل : إن ملك البلقاء قال لبلعام : ادع الله على موسى ، فقال : إنه من أهل ديني لا أدعو عليه ، فنحت خشبة ليصلبه فلما رأى ذلك خرج على أتان له ليدعو عليه ، فلما عاين عسكرهم قامت به الأتان ووقفت فضربها ، فقالت : لم تضربني؟ إني مأمورة وهذه نار أمامي قد منعني أن أمشي فرجع وأخبر الملك فقال : لتدعون عليه أو لأصلبكم ، فدعا على موسى بالاسم الأعظم : أن لا يدخل المدينة ، فاستجيب له ووقع موسى وبنو إسرائيل في التيه بدعائه ، فقال موسى : يا رب بأي ذنب وقعنا في التيه؟ فقال : بدعاء بلعام . قال : فكما سمعت دعاءه علي فاسمع دعائي عليه ، فدعا موسى عليه السلام أن ينزع عنه الاسم

الأعظم والإيمان ، فنزع الله عنه المعرفة وسلخه منها فخرجت من صدره كحمامة بيضاء ،
فذلك قوله : " فانسلخ منها " . وقال عبد الله بن عمرو بن العاص ، وسعيد بن المسيب ،
وزيد بن أسلم : نزلت هذه الآية في أمية بن أبي الصلت الثقفي ، وكانت قصته : أنه كان
قد قرأ الكتب وعلم أن الله مرسل رسولا فرجا أن يكون هو ذلك الرسول ، فلما أرسل
محمد - صلى الله عليه وسلم - حسده وكفر به ، وكان صاحب حكمة وموعظة حسنة ،
وكان قصد بعض الملوك فلما رجع مر على قتلى بدر ، فسأل عنهم فقيل : قتلهم محمد ،
فقال : لو كان نبيا ما قتل أقرباءه ، فلما مات أمية أتت أخته فارعة إلى رسول الله - صلى
الله عليه وسلم - ، فسألها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن وفاة أخيها فقالت :
بينما هو راقد أتاه آتيان فكشفا سقف البيت ، فنزلا فقعدا أحدهما عند رجله والآخر عند
رأسه ، فقال الذي عند رجله للذي عند رأسه : وعى؟ قال أزكى؟ قال : أبى ، قالت :
فسألته عن ذلك فقال : خير أريد بي ، فصرف عني فغشي عليه ، فلما أفاق قال : كل عيش
وإن تطاول دهرًا صائر مرة إلى أن يزولا ليتني كنت قبل ما قد بدا ليفي قلال الجبال أرى
الوعولا إن يوم الحساب يوم عظيم شاب فيه الصغير يوما ثقيلا ثم قال لها رسول الله - صلى

الله عليه وسلم - : أنشدني من شعر أخيك ، فأنشدته بعض قصائده ، فقال لها رسول الله

- صلى الله عليه وسلم - : " آمن شعره وكفر قلبه " ، فأنزل الله - عز وجل - (وائل

عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها) الآية .وفي رواية عن ابن عباس : أنها نزلت في

البسوس ، رجل من بني إسرائيل وكان قد أعطي له ثلاث دعوات مستجابات ، وكانت

له امرأة له منها ولد ، فقالت : اجعل لي منها دعوة ، فقال لك منها واحدة فما تريدان ؟

قالت : ادع الله أن يجعلني أجمل امرأة في بني إسرائيل ، فدعا لها فجعلت أجمل النساء

في بني إسرائيل ، فلما علمت أنه ليس فيهم مثلها رغبت عنه ، فغضب الزوج ودعا عليها

فصارت كلبة نباحه ، فذهبت فيها دعوتان ، فجاء بنوها وقالوا : ليس لنا على هذا قرار ،

قد صارت أمنا كلبة نباحه ، والناس يعيروننا بها ، ادع الله أن يردها إلى الحال التي كانت

عليها ، فدعا الله فعادت كما كانت ، فذهبت فيها الدعوات كلها . والقولان الأولان

أظهر . وقال الحسن وابن كيسان : نزلت في منافقي أهل الكتاب الذين كانوا يعرفون النبي -

صلى الله عليه وسلم - كما يعرفون أبناءهم . وقال قتادة : هذا مثل ضربه الله - عز وجل -

لمن عرض عليه الهدى فأبى أن يقبله ، فذلك قوله وائل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا " . قال

ابن عباس والسدي : اسم الله الأعظم . قال ابن زيد : كان لا يسأل الله شيئاً إلا أعطاه .

وقال ابن عباس في رواية أخرى : أوتي كتاباً من كتب الله فأنسلخ ، أي : خرج منها

كما تنسلخ ، أي : خرج منها كما تنسلخ الحية من جلدها . (فأتبعه الشيطان) أي :

لحقه وأدركه ، (فكان من الغاوين)